شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ختمنا القسم الاوّل من تراجم شعراء النصرانيّة بعد الهجرة فذكرنا منهم خمسة عشر شاعرًا اشتهروا في اوّل الاسلام وفي عهد الخلفاء الراشدين ولا نشكّ في وجود غيرهم ممّن نبغوا في تلك الحقبة ودانوا بالنصرانيّة دون ان يُذكر دينهم فانّ الكتبة القدماء قلّما يكترثون لهذا الامر واذا اتوا بذكره ذكروهُ عَرَضاً كما مرّ بك في ما سبق وكما سترى في بعض من ندوّن تراجمهم وذلك امّا كرهاً للاعلان بنصرانيّتهم وامّا ظنًّا منهم انّ ذلك معروفٌ لا يحتاج الى التصريح

وما يقال اجمالًا عن الشعراء النصارى في عهد بني اميّة انهم أشعر من السابقين ولعلّ السبب في ذلك ما صارت اليه الدولة العربيّة من السكينة والهدوء بعد حروبها الاولى فانّ الآداب تأنس بالسلام والقرائح تُشحَذ في المقامات الشريفة لدى كبار الرجال وفي قصور الملوك ونوادي الطرب وعند وقوع الامور الخطيرة. فيكتسب شعر الشعراء من تلك المجالس رقّةً وانسجاماً وطباعةً. فترى في قصائدهم مع متانة شعراء الجاهليّة سلاسة شعراء الاسلام كشعر الاخطل وشعر القطامي

ومن خواصّ هؤلاء الشعراء انّك لا تجد في اقوالهم شيئاً من بذاءة ومجون معاصريهم كجرير والفرزدق فكأن دينهم ارشدهم الى العفاف والحياد عن التهتّك والخلاعة

هذا وانّنا في ذكر الذين طُبعت دواوينهم نجتزئ في تراجمهم برواية بعض محاسن شعرهم محيلين القرّاء الى مجموع قصائدهم

١ هُدْبة بن الخشرم [1]

﴿اصلهُ﴾ قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (٢١ : ٢٦٤) : « هو هُدْبة بن كُرْز ابن ابي حيَّة بن الكاهن وهو سَلَمة اسمه بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان » ثمَّ اوصل نسبهُ الى قُضاعة من اكبر قبائل العرب. وفي تاج العروس (١ : ٥١٣) دعا جدهُ « كُرَيزاً » وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٣٤) ومثلهُ ابن دُريد في الاشتقاق (ص ٤٢٠) انهُ من بني عُذرة احدى قبائل قضاعة. وجعل ابنُ دُريد ابا الحيَّة كاهناً ليس ابن الكاهن كما ورد في الاغاني

﴿اسمهُ واسرتهُ﴾ قيل انهُ دُعي بهُدْبة وهو اسم طائر وقيل انهُ من هُدبة الثوب اي خَتَلهِ وطرَّتهِ . وكان اسم ابيهِ خَشْرَم والخشرم جماعة النحل واميرُها وكان من وجوه رهطهِ بني عامر . امَّا هدبة فكان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة. وقال ابو الفرج: «وكان لهدبة ثلثة اخوة كلُّهم شاعر وهم حَوْط وسَيْحان والواسع . واسم حيَّة بنت ابي بكر بن ابي حيَّة من رَهطهم الأدنَين وكانت شاعرة ايضاً » وقد دعاها شارح الحماسة (ص ٢٣٤) باسم ليلى الاخيلية . وكان لهدبة كذلك اختان تُدعى الواحدة سلمى وهي زوجة زيادة بن زيد السبائي من بني رَقاش الآتي ذكرهُ والاخرى فاطمة التي تغزَّل فيها زيادةُ فكانت سبب الشرّ بين القبيلتَين

﴿دينهُ﴾ كان هُدبة نصرانيًّا كما يشهد عليهِ شارح الحماسة (ص ٢٣٥) حيث يدعوهُ زيادةُ هو ورهطهُ بأمَّة المسيح. ولا غرو فانهُ كان من قضاعة التي اثبتنا نصرانيَّتها في كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٢٩, ١٣٧, ٤٥٨) ونصرانيَّة فروعها كسَليح وبَهْراء وكلب . وكان هدبة من رَهط بني عامر النصارى. ولعلَّ اسم الكاهن بين اجدادهِ يدلُّ على كهنوت النصارى لا يُراد به الساحر

﴿اخبارهُ﴾ انَّ غاية ما اخبرهُ القدماء عن هدبة ما جرى بينهُ وبين صهرهِ زيادة ابن زيد من الخلاف والضغائن التي افضت بهِ الى قتل زيادة والى ما لحقهُ هو من

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة Journal Asiatique, V° série, vol. V, 360-383

القصاص بسببه فأُقيد به على وجب سُنّن البادية وهي بئس السنن

أمّا تفاصيل هذه الرواية المشؤومة فقد وردت في عدّة تآليف كالاغاني (٢١ : ٢٦٤ — ٢٧٠) وشرح الحماسة (٢٣٢—٢٣٦) وكامل المبرّد (٧٦٥—٧٦٨) وغيرهم نختصرها عنهم. روى ابو الفرج (ص٢٦٥) عن عيسى بن اسمعيل : كان اوّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط هدبة وبين بني رقاش وهم بنو قرّة بن خنبس بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط زيادة بن زيد انّ حوطاً بن خشرم اغا هدبة راهنَ زيادة بن زيد على جملَين من إبليها وكان مَطْلَقُها من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ فتزوّدوا الماء في الرّوايا والقِرَب . وكانت اخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع اخيها على زوجها فوهَنت اوعية زيادة ففنيَ ماؤه قبل ماء صاحبه ففي ذلك يقول زيادة :

قد جعلتْ نفسيَ في أدمٍ مُحرَّمِ الدِباغِ ذي مُزومِ (١
ثمَّ رَمَت في عُرُضِ الدَّيُومِ في بارحٍ من وَهَجِ السمومِ
عند اطّلاعِ وَهْجةِ النُجومِ

وقال زيادةُ ايضاً :

قد علمتْ سَلْمةُ بالعَمِيسِ ليلةَ مَرْمارٍ ومَرْمريسِ (٢
أنَّ ابا المِسْوَرِ ذو شَرِيسِ يشفي صُداعَ الأبلجِ الدِلْمِيسِ (٣

(قال) فكان ذلك اوّل ما أثبتَ الضغائن بينهما

ثمّ انّ هُدبة وزيادة اصطحبا وهما مقبلان من الشام في رَكْبٍ من قومهما . فكانا يتعاقبان السَّوق بالابل وكانت مع هدبة اختهُ فاطمة فنزل زيادة وقال رجزاً اوّلهُ : « عوجي علينا وارْبَعي يا فاطمةُ » فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأُخته فنزل وارتجز باخت زيادة وكان اسمها امّ الخازم وقيل امّ القاسم . فشتمهُ زيادةُ وسبَّهُ هدبة فصاح بهما القوم وعظارها حتى امسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه وهدبة

---

١) قال اليزيدي : المحرّم الذي لم يُدبَغ . والمزُوم الشّوق

٢) العميس موضع . ويروى : الحَميس والحميس . والمَرْمار والمرمريس الشدة والاختلاط

٣) المِسْوَر ابن زيادة فكنّى به

اشدُّهما حنقاً لانهُ رأى انَّ زيادة رَجزَ باختهِ وهي تسمعُ واختُ زيادة عائبة لم تسمع رجزهُ فضيا ولم يتحاوروا بكلمةٍ حتى رجعا الى عشائرهما

ثمَّ زاد حنقُ رهطِ هدبة اذ سمعوا أدرع اخا زيادة يرجز بزَفَر عمّ هدبة فلم يزالوا يتعرَّضونهُ حتى خلَوا وضربوهُ الحدَّ ضرباً مبرّحاً فراح بنو رقاش وقد اضمروا الحرب

أمَّا زيادة وهُدبة فجعلا يتهاديان الاشعار ويتفاخران ويطلب كلّ واحد منهما العلوَّ على صاحبهِ في شعرهِ . فممَّا قالهُ زيادة قصيدة اوَّلها :

أراكَ خليلاً قد عزمتَ التجنُّبا ... وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤادِ فأصحبا

وفيها يقول متفاخرًا :

انا ابنُ رَقاش وابنُ ثعلبةَ الذي ... بنى هادياً بعدَ الفَوادي أغلبا
بَنى المجدَ بُنياناً لقومي فاصَّعُوا ... بأسيافهم عنهُ فأصبحَ مُصعَبا
فما إن ترى في الناس امَّا كأنَّنا ... ولا كأبينا حين نَسبُهُ أبا
أتمُّ وأنقى بالبنينَ الى العُلى ... واكرمَ مأً في المناصب منصبا (١)
ملكنا ولم نُملَكْ وقُدنا ولم نُقَدْ ... كأنَّ أنا حقاً على الناس تُرَّبا
سأبقي آثاراً لا تزيد متونها ... من الدهر بلواها اذا ما تعصَّبا
ولا ملكاً الا اتقنا ملكهُ ... ولا سوقةً إلَّا على المَرْح أتعبا
ملكنا الملوك واستبحنا حماهمُ ... وكنَّا لهم في الجاهليَّة مَوْكِبا
نَدامى وأردافاً فلم تَرَ سوقةٌ ... توازرُنا فاسْئَل اياداً وتَغلِبا (٢)

ولمَّا لجَّ الشرّ بين رهط هُدبة ورَهْط زيادة قال قوم لزيادة لهُ : اهجُ هُدبة وقومهُ . فقال : اني لم ابسط لساني على قوم قطّ الَّا جهدوا على قَتلي (ويروى : قَتلي) من شدَّة هجائي ولكن انطلقوا لنضربهُ . فخرج زيادة في رهط قومهِ فيهم اخوهُ نفَّاع يطلبون هُدبة فوجدوا الحيَّ خُلوفاً ووجدوا هدبة واباهُ خشرماً فضربوهما بسيوفهم فاصاب خشرماً شجَّاتٌ في رأسهِ ووقع بذراع هدبة حزٌّ وضرب نفَّاع برجلهِ ريحانة امّ هدبة فقال قائلهم :

---

١) ويروى : أوفى . . . في المناسب منصبا
٢) ويروى : فلم تك سوقةٌ . . فاسْئَل زيادًا

شَخَبْنَا فَخَضَّبْنَا بِهِ فِي الْأَرْضِ سَبْسَبًا ... وَخَضَّبْتُمُونَا مُنْذُ حِينٍ إِذْ مَجَسْنَا
كَذَلِكَ الْبَدْءُ أَنَّ الْبَدْءَ يَرْمَا ... إِذَا رَنَّقْتَهُ بِالسَّيْفِ لَانَا

فاجابهُ هُدبة (من الوافر) :

وانَّ الدهرَ موتَنِفٌ طويلٌ ... وشرُّ الخيلِ اقصرُها عنانا
وليس اخو الحروب بمن اذا ما ... مرَتْهُ الحربُ بعدَ العَضِّ لانا

ثمَّ انَّ هدبة جمع رهطاً من قومهِ واصحابهِ فقصدوا لزيادةَ وكانت رَيحانة امّ هُدبة نهتهُ عن الخروج فلم يَنْتَهِ واتوهم ليلًا في وادٍ يقال لهُ خَشُوب وزيادةُ وابياتُهُ على ماء يُدعى سَخنة فضوا حتى بيَّتوا زيادة فلمَّا غشوهُ جعل يرتجز ويقول وفي وجزه اشارة الى دين هدبة وقومهِ :

من اينَ جاءت عارُ القُبحِ ... لا مرحبًا بأمّة المسيحِ
لن تقبلوا الغَسْلَ مع الفضوحِ ... ولن تُبيحوا الحيَّ في سَريحِ
حتى تَذوقوا خُدُبَ الصفيحِ (١

وجعل نقّاع اخوهُ يرتجز ويقول :

انّي اذا استغنى الجبانُ بالحَذَرْ ... وكان بالكفِّ شهابٌ كالشَّرَرْ (٢
صَدَقْنَ البناة غير شمّاع الحَذَرْ ... حمّالُ ما حُمّلتَ من خير وشرّ

وهي طويلة ثمَّ التقى هُدبة وزيادة فضرب هدبة زيادةَ فأطنَّ داغضةَ رجلهِ اي عَضَلتها فاعتمد على رمحهِ وجعل يُذبّب بسيفهِ عن نفسهِ حتى غشيهُ هدبة فصرعهُ وزعموا انَّ زيادة جدَعَ انفَ هدبة في تذبيبهِ عن نفسهِ وضرب القوم زيادةَ حتى ظنّوا انهم قد اجهزوا عليهِ . ثمَّ اتوا منزل أدرَع اخي زيادة فصوّتوا بهِ فخرج عليهم فحاضرهم ونجا منهم فقال هدبة :

---

١) الخُدُب الضرب الشديد . ضربة خدباء ورجل اخدب اذا كان فيهِ هوج
٢) قال الشارح : الحَذَر المكان المظلم قسّى يوم الغيم اليوم الحذر

وكانت شفاء النفس مما أصابها غداتئذٍ لو نلتُ بالسيفِ أذرَعا
واقسمُ لو ادركتُهُ لَكسوتُهُ حُساماً اذا ما خالطَ العظمَ أمرعا

ثمَّ رجع الى زيادة فوجدهُ صريعاً بين النساء فضرب عاتقهُ بالسيف حتى خرجت الرنّة من بين كتفيه. فانصرف الى اهلهِ فأخبرهم وشبَّت الحرب بين الحيَّين ونأى كلّ واحد منهما عن صاحبهِ

ثمَّ تنحَّى هدبة مخافة السلطان واستعدى اصحابُ زيادة عليهِ والعاملُ على المدينة يومئذٍ سعيد بن العاص فارسل الى ابي نُمير عمّ هدبة واهلهِ فحبسهم بالمدينة. فلمّا بلغ هدبة ذلك اقبلَ فأمكن من نفسهِ وتخلّص عمّهُ واهلهُ

﴿هدبة في الحبس﴾ امر سعيد بن العاص بهدبة الى الحبس فلمّا دخلهُ قال (من الوافر) :

ألا تَعِقَ الغرابُ عليكَ ظُفرًا ألا مِن فيكَ من ذاكَ الترابُ
يخبّرنا الغرابُ بنو ستنأى حبائبُنا فُقِدتُكَ يا غرابُ

وقال ايضاً يذكر عرسهُ (من الطويل) :

ولمّا دخلتُ السجنَ يا امَّ مالكٍ ذكرتُكِ والاطرافُ في حَلَقِ سُمرِ
وعند سعيدٍ (١ غير أن لم أُبحْ بهِ ذكرتُكِ انَّ الامر يُذكر بالامرِ

وقال ايضاً يعلل نفسهُ بالخلاص (وافر) :

عسى الكربُ الذي امسيتُ فيهِ يكون وزاءهُ فرجٌ قريبُ
فيأمنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ ويأتي اهلَهُ النائي الغريبُ

وبقي هدبة في حبسهِ وسعيد بن العاص يكرهُ الحكم بين الحيَّين فرفع امرهما

١) سعيد المذكور هنا رجلٌ كان حسن الثغر جدًّا فذكر بهِ ثغرَ زوجتهِ

الى معاوية ويمث معهم بهُدْبة فوفد الى معاوية وَفْدُ بني رَقاش وفيهم عبد الرحمان بن زيد اخو القتيل . ووفد بني عامر وفيهم ابو جبر عمّ هدبة . فلمّا صاروا بين يدي معاوية قال لهُ عبد الرحمان اخو زيادة : يا امير المؤمنين اشكو اليك مظلمتي وقتل اخي وترويع نسوتي . وتكلّم ابو جبر كأنهُ يردُّ عليهِ فقال معاوية لهُدبة : أخبرني خبرك فقال هدبة : ان شئتَ أن اقصَّ عليك قصّتنا كلاماً او شعراً فعلتُ . قال : أنشدني فعسى ان استغني عن قصصك بشعرك . فقال هدبة هذه القصيدة مرتجلاً بها ولمبدِ غناء في بيتَيها الأولين (من الطويل) :

ألا يا لَقومي(١ للنوائب والدهرِ ... وللمرء يُردي نفسَهُ وهو لايدري
وللأرض كم من صالحٍ قدتأكّمتْ(٢ ... عليهِ فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفرِ
فلا تتّقي ذا هيبةٍ لجلالهِ ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يُتْرَكنَ للفقرِ

ومنها :

فلمّا رأيتُ انّما هي ضربةٌ ... من السيفِ او إغضاءُ عينٍ على وترِ
عمدتُ لامرٍ لا يُغيّر والدي ... خزايتَهُ ولا يُسدُّ بهِ قبري (٣
وكم نكبةٍ لو انّ أدنى بُرورِها ... على الدهر ذلّت عندها ثوبُ الدهرِ
فان تكُ في اموالنا لا نَضِقْ بها ... ذراعاً وان تقصر أُبَيْنا على القَسرِ (٤
وان يكُ قتلٌ لا أبا لك نَصْطَبِرْ ... على القتل انّا في الحروب أولو صَبرِ
رُمينا فرامَينا فصادفَ رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدرِ
وانتَ اميرُ المؤمنينَ فما لنا ... وراءكَ من مَعدًى ولاعنكَ من قَصرِ

فقال لهُ معاوية : اراك قد أثّرت بقتل صاحبهم . قال : هو ذاك . فقال عبدالرحمان :

١) ويروى : لَقَرْمٍ ٢) ويروى : قد تودّأت وتلمّأت
٣) ويروى : ولا تغيّر . الخزاية الاستحياء . اي لا يأنف منهُ ولا يخزى
٤) ويروى : وان صبرٌ فصبر للصبر

أقِدْني . فكره ذلك معاوية وضنّ بهدبة عن القتل فقال معاوية لعبد الرحمان : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم المِسْوَر وهو غلامٌ صغير لم يبلغ وانا عمّهُ ووليّ دم ابيه . فقال : « انك لا تؤمن على اخذ الدّية او قتل الرجل بغير حقّ أو ما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك والمِسْور احقُّ بدم ابيه اذا احتلم فان شاء قتَلَ وان شاء أخذ العَقل » . ثمّ كتب الى سعيد في المدينة ان يحبس هدبةَ الى ان يبلغ ابن زيادة فضمّنهُ السجن وتربّص بلوغ المِسْور بن زيادة فمكث في السجن ثلاث سنين وقيل ستًّا وقيل سبعاً . وقال هدبة في السجن اشعارًا كثيرة منها ما رُوي عنهُ ومنها ما ذهب . ولمّا شخص هدبة الى المدينة فحُبس بها قالت أمُّهُ :

أبا إخوتي اهلَ المدينة أكرموا ... اسيرَكُمُ انَّ الاسيرَ كريمُ
فربَّ كريمٍ قد قراهُ وضافَهُ ... وربَّ امورٍ كانُهُنَّ عظيمُ
عصا حُجُّها يوماً عليه فرانَهُ ... من القوم عيّافٌ أشَمُّ حليمُ

قال ابو الفرج : فأرسل هدبةُ عشيرتهُ الى عبد الرحمان في اوّل سنةٍ فكلّموهُ في قبول الدية فامتنع قائلًا :

أبعدَ الذي بالنَّعْفِ نعفِ كُوَيْكبٍ ... رهينةُ رمسٍ في تراب وجندلِ
أذكّرُ بالبُغيا على من اصابني ... وبُغياي اني جاهدٌ غيرُ مُؤتَلِ

فرجعوا الى هدبة بالابيات فقال : لم يرضني بعد . فلمّا كانت السنة الثالثة . بلغ المِسْور فارسل هُدْبة الى عبد الرحمان من كلّمهُ فأنصتَ حتى فرغوا ثمّ قام مغضباً وانشأ يقول :

سأكذِبُ اقواماً يقولون انني ... سآخذ مالًا من دمٍ انا واترُهْ
فاقسمُ لا انسى زيادةَ مرّةً ... من الدهر الا ريثما انا ذاكرُهْ
وكان ابنُ أمّي لم يُغيّر بسَوْءةٍ ... ولا دنّسٍ جرّبتُ فيما أعاشرُهْ

وقال ايضاً :

يُعزّي عن زيادةَ كلُّ صاحٍ (١ ... تخلّى لا تؤوبُهُ الهمومُ
وكيف تجلّد الادنَيْنَ عنهُ ... ولم يُقتَل به الثارُ المُنيمُ
فلو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا ... تجرّدَ (٢ لا ألَفٌ ولا سَؤُومُ

١) ويروى : تعزّى كلُّ مولًى ٢) ويروى : ولو كنتُ المصاب . . . لشمّر

ولا جشأةٌ في الرحل مثلي ولا ضرعٌ اذا أمسى تؤومُ
ولا هيأبةٌ بالليل نكسٌ ولا وَرِعٌ اذا بُلقى جَشُومُ
غشومٌ حين يصر مُستفادًا وخيرُ الطالبي الوترِ الغشُومُ

ونهض فرجعوا الى المدينة فاخبروه الخبر فقال: الآن ينست منهُ . وقيل انَّ سعيد ابن العاص وعدهُ بناقة ناقة حمراء كدية هدبة فلم يقبل وقال: ولو ملأتَ لي قبَّتك هذه مالًا ما فديتُهُ لقولهِ (من البسيط):

لَنَجْدعنَّ بايدينا أنوفَكُمُ ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هدَرَا

فسلَّمهُ اليهِ (الهُ صلة)

نظر في سياسة العام المنصرم

لاحد الآباء البسوعيين

غادرَتنا السنة ١٩٢٣ وآفاقُ السياسة قاتمة مظلمة . كانت المؤتمرات والمفاوضات الدولية تتابعت دون ان تأتي بجدوى تُذكَر الى ان عقدوا في سويسرة مؤتمر لوزان وهم يؤمّلون منهُ خيرًا لكنَّ خاتمتهُ في هذا العام كانتْ وبالًا على الحلفاء واجهزت على الاقليات الواقعة تحت سيطرة تركيا

ومن سيئاتها انها كشفت ما بين الدول المتحالفة من التباين والاختلاف ما ثبَّت المانيةَ في امتناعها عن التعويضات لفرنسة بما قرَّرهُ لها مؤتمر ڤرسايل واعترف المؤتمرون بحقوقها . وقد كاد هذا التنافر يُفضي الى قطع العلاقات بين لندن وباريس لولا رجوع عقلاء بريطانية الى السياسة المعتدلة

وكانت في اثنائها الازمة المالية لا تزال تضغط على العالم فلا تكاد تجد بلادًا ألَّا تئنَّ تحت اعبائها فتعدَّدت الافلاسات وبلغت اعتصابات العُمّال الى غاية مقلقة بينما الديون تبهظ عواتق الدول الكبرى فلا ترى وجهًا لوفائها